لواء الحمد
مجلة علمية نصف سنوية تعني بالمعارف الإسلامية
السنة الرابعة ـ العدد الثامن (صفر ـ رجب ١٤٤٥)

كلمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

١- المساعي الخاصّة بمحوريّة الحديث بمعنى الخطوات المتّخذة فيما يرتبط بعرض الحديث والرواية بما يشمل التحقيق والدراسة ونشر كلام رسول الله والأئمة الطاهرين المعصومين عليهم الصلاة والسلام، لها خلفيّتها التاريخية القديمة، بل هي تعود إلى زمان حياة نبيّ الرحمة ومبادرة الرسول الأكرم.. فقد كان صلوات الله عليه وآله يبيّن ويكشف الحقائق الوحيانية بلسان الوحي للناس.. كما كان في الوقت ذاته يحذّر الأصحاب وعموم الأجيال المسلمة ممن يمكن أن يفتروا عليه ويكذبوا بعلم وعمد، أي أنه كان يجهد كل الجهد يفتح أبصار الناس إزاء ظاهر الوضع والتحريف القبيحة.

٢- وقد تواصلت هذه الجهود بعد استشهاد النبي صلى الله عليه وآله ضمن خطوات واعية وذكية من قبل قلّة قليلة من المؤمنين الأوفياء الذين تجاهلوا الحظر الرسمي والحكومي الخاصّ بالكفّ عن ترويج وبيان وكتابة الحديث النبوي الشريف؛ إذ واصلوا الجهود المرتبطة بنشر الميراث والتراث النبوي.. هذا وإن التقارير الشيعيّة بهذا الصدد مشرفة فاخرة وتبعث على الفخر، وما تلك الكتب المسماة (الأصول الأربع مئة) إلّا قسم من تلكم التقارير.. ولطالما كانت مشاهد ووقائع الجهاد النوراني والإيثار الفريد والفذّ قد حدثت ضمن هذا المسار، ولكن تفاصيل ذلك لم يصل إلى علم الأجيال المتتالية.. وإنما الشاهد الوحيد على ذلك علم الله تعالى؛ العالم بالغيب والشهادة؛ وهو الذي يثيبهم على ذلك.

٣- إن سلكَ النور هذا قد برز ـ أكثر ما برز ـ في أواخر القرن الهجري الثالث، وذلك عبر تأليف الموسوعات والكتب الحديثية الجامعة.. وكم أظنوا أنفسهم أولئك العلماء

الفطاحل لينقلوا تلكم الكنوز النبويّة وفصوص حكم الأئمة المعصومين عليهم الصلاة والسلام للأجيال.. الكنوز التي نطالعها وننتفع منها؛ بل ونبني إيماننا ومعارفها على أساسها بلا جهد منّا أو أن نقدّم ثمناً لها.. ونظنّ خطلاً؛ أنها منذ اليوم الأوّل قد جمعت تلكم الموسوعات بلا أثمان قدّمها أصحابها ومن دون أن يتعرّضوا للمخاطر العظيمة.. ولقد فتحت تلكم الكتب والأصول الباب على معرفة التراث الرشيد؛ ليأتي جيل قيّم بعد ذلك فيعمل على ترتيب وتقسيم جديد؛ فيُخرج جوامع حديثية ويُغني مكتبة مدرسة أهل البيت عليهم السلام بالبصائر والمعارف..

وكم رائع ما قيل:

لكي تصل إلينا كنوز النور والايمان.. فلطالما صعد (التمّارون) منصات المشائق!

٤- كلّ هذا كان قد سبق التغيرات السريعة الحاصلة على صعيد الصناعة والتكنولوجيا وثورة الاتصالات خلال القرن الأخير.. هذه التغيرات وإن حصلت في عالم الصناعة ـ كما يبدو ـ إلّا أنها شملت أجواء العلم والدراسة والتحقيق والثقافة.. وأضحت نتيجة كل هذا؛ أن الانسان بعد هذه التغيّرات صار غير ذلك الإنسان السابق لها ضمن جملة فوارق جادّة وعميقة في جميع مجالات الحياة الفردية والاجتماعية، حيث أخذ الإنسان المعاصر لوناً وهيئة مغايرة، ـ ولعلّه سينزع عنه واقعه الذي يعيشه الآن إذا ما انتقل إلى مرحلة مستقبلية أخرى ـ وإن هذه التغيرات الواردة على الثقافة وعلى «تقبّل الوحي» من قبل الناس لها آثارها المشهودة والمحسوسة..

٥- وها نحن الآن وهذا العالم المعقّد؛ المفعم بالتغيير؛ والطافح بالتساؤلات الجديدة والمحتاجة إلى الأجوبة الاستدلالية والمنطقيّة.. لا سيّما وأن الجيل المعاصر قد ترك لسان الأمس جانباً، وهو منهمك متعطّش ـ كما يسعى العطشان إلى الماء ـ لا سيّما وأنّ هناك من يستغلّ الواقع؛ فيلوّث الماء ويكدّر طعمه ويصنع واقعاً معرفيّاً مريراً تتعطّل فيه الأذهان وتسوّد فيه القلوب حيث لا يتبين المرء حكم العقل ولا ينظر في مرآة الحكمة.. بل ويتعسّر عليه قبولهما..

٦- إن كنوز الحديث عبارة عن مجموعة من المعطيات؛ وهي إن لم تخضع لعملية

تنظيم وترتيب وتنتهي اِلى مرحلة الإنتاج العلمي المناسب للمتطلبات المعاصرة.. تحولت ـ لا ريب ـ اِلى مجموعة راكدة عقيمة متأخّرة.. ومثل هذه الكنوز، وبهذه النظرة في عالم لم يعد يعرف أو يتحمّل التوقّف والملَل عن النظر اِلى المستقبل.. لم يعد لها مكان ودور ـ في الوهلة الأولى ـ ولعل من أسرار وأسباب التنصّل والتهرّب من الدين والتزام الإيمان لدى أفراد الجيل المزامن والعاكف على البحث والمتابعة المتواصلة والمطالِبة بالتحديث والتجديد؛ هو التوقّف الذي اعترى تلكم الكنوز الثمينة جداً مع أنها ذات قابلية لاتضاهى على التجدد؛ باعتبار أنّ مفاهيمها ومضامينها تمثل الجهة الوحيدة ذات القدرة على تلبية حاجات الإنسان وفي كافّة المجالات والأبعاد واِلى يوم القيامة.. ولكن الكثير من الأفراد والجماعات المعاصرة لم يعودوا يتحمّلون أو يتقبّلوا الركون اِلى هذه الكنوز التي ابتُليت بأكوام الغبار الذي قلّ أن يتقدّم أحدهم وينغضه عنها.

٧- على صعيد الحياة الاجتماعية يتمّ الحديث عن «النتائج البيئية والاجتماعية للنشاطات التنموية» باعتبارها محاولات محتاجة اِلى سبل حلٍّ معاصرة، سُبلٍ واعية وتحقيقيّة وواقعية.. هذه الواقعية التي يمكن النظر إليها من حيثية أخرى، نظراً للنتائج الثقافية والدينية والعقائدية والمحارسات التنموية التي تمثّل ضرورة لإحياء البيئة الدينية والعقائدية المثلومة.. مضافاً اِلى المشروعية الأخلاقيّة للمؤسسات الدينية، لا سيّما المؤسسات المسؤولة عن النصوص الوحيانية في إطار تحقيق تلك الضرورة.

٨- اِن أيّ سوء تدبير معتاد في هذه العمليّة يؤدّي اِلى إحراق وتفويت الفرص واِلى التفريط بالخزين المعنوي للأجيال، فتنعدم لذلك الأفكار ونظريات التحوّل والتطوّر في الأجواء المتاحة، ناهيك عن الأجواء المستقبليّة.. وإن المعرفة العميقة والشاملة الناتجة عن التحولات من شأنها أن تختزل في طيّاتها أقلّ ضرورات المؤسسات والمراكز المنهمكة في محورية الحديث وطبيعة برامجها ومنهجيتها.

ترى اَلم يحذّر أمير الكلام عليه السلام منذ قرون وببيان سماوي قائلاً: «اِنّ أخا الحرب الارِق، ومن نام لم يُنَم عنه»؟ (نهج البلاغة، الكتاب ٦٢)

٩- اِن الناسَ اليوم يتوقعون استلهام الإجابات ومتطلباتهم الدينية بأقلّ ما يمكن بذله

من طاقة وإمكانات ووقت؛ وبناءً على أساس تعاليم مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فإن لم ينالوا مبتغاهم، تنصّلوا عن الانتماء لهذه المدرسة وتوجهوا اِلى مدارس مغايرة لتوفّر لهم الاجابات وتحقّق لهم مطالبهم وتوقّعاتهم.. اِذ الإنسان متعطّش للماء، فما لم يجدها يبتغي من ماء زلال، انتهى اِلى استعمال الملوّث منه.. وإن الكلام ليتجاوز هذا الحدّ.. كما أن الناس اليوم قد ملّوا الكلام العام.. وهم يبحثون عن مدرسة تستعرض لهم نشرة وميثاقاً جامعاً لحياتهم المعاصرة ويمنحهم الحلول الناجعة.. ولدى ذلك، ينبغي لمجاهدي مدرسة أهل البيت عليهم السلام أن يصبوا مساعيهم على مباني الكنوز الحديثية والتراث الغني الصادر عن آل محمد صلوات الله عليهم ليرشدوا الناس اِلى الموازين السماوية.

١٠- لو كفّ متولّو مدرسة أهل البيت عليهم السلام وامتنع المجاهدون في أجواء الحديث والرواية عن نشاطاتهم.. فاِنّهم سيضطرّون اِلى السعي وراء ردود الأفعال.. ومعلوم مدى عقم هذا الاضطرار.. وإنّ معرفة وتقييم الفرص من جهة، وتهديدات الأجواء المستجدّة وسبل مواجهتها ضمن المحاولات الحديثة.. تمثّل ضرورة يؤدّي إنكارها اِلى طرد هكذا ناشطين عن الساحة؛ أعني ساحة التأثير.. وهذا قانون عامّ وشامل لا يستثنى منه متولّو مساعي وفعاليات المتمحورين حول الحديث.. شاؤوا أم أبوا..

١١- اِن أجواء رواية الحديث ودراية الحديث قد شهدت ـ حتى الآن ـ اَوراقاً مرموقة متلألئة فيما يرتبط بثقافة أهل البيت عليهم السلام.. ولكن بمعيّة الأجواء المستجدّة ثمّ متطلّبات بخصوص التساؤلات الحديثة.. تساؤلات من قبيل:

* الذكاء الصناعي ومكانته في أجواء التحقيقات الروائيّة، فكيف يلزم التعامل معه؟!

* ما هو دور ومكانة التكنولوجيا والوسائل والأساليب المعاصرة فيما يتعلق بالتربية والتعليم والتحقيق ضمن النشاطات الثقافية المرتبطة بكلام أهل البيت عليهم السلام؟ وما مدى استثمار الناشطين في اِطار الحديث لهذا التنوع والجامعية والشمول؟

* ترى هل ثمّ موازنة في أجواء الحديث بين الترويج والنشر والتحقيق؟ وما هي القيمة والاهتمام الذي توليه أجواؤنا الحديثية للنشاطات الإعلامية وعمليات الترويج؟ وهل

أن هذا المنحى منحىً صحيح حيث يتمّ اختيار الأفراد قليلي وضعيفي القابليات وإرسالهم اِلى المناطق المحرومة.. لا سيّما وأن هذه المناطق تختزل طاقات ذهنية فذة.. فيتمّ تجاهلها بهذه الشاكلة؟!

* ترى هل أن التحقيقات الحاصلة والتحقيقات الميدانية والتحقيقات ذات الأهمية والفاعلية ومسألة المحورية قد بلغت درجتها المناسبة والضرورية ضمن مجموعة المساعي والنشاطات الحديثية؟

١٢- وعموماً؛ اِن هذه الساحة المعقّدة بحاجة اِلى أفرادٍ مميّزين لكي تكون لهم:

* قدم سبقٍ وفي السنّة الحديثية القديمة وقدم في أجواء المعلومات المعاصرة..

* أن تكون لهم السابقة في المشاريع البعيدة المدى وذات الأهمية الكبيرة..

* أن لا يلوّثوا الفعل الثقافي الأساسي بكثرة التوافه والتظاهر المقيت.

* أن يعلموا اَنّ الأصالة الثقافية والذاتية بحاجة دائمة اِلى عناصر جديدة تجتذب للأجواء الثقافية.. وهذا الجذب يستلزم الترحيب اللازم..

١٣- اِن أهمّ العناصر اللازمة للناشطين الحديثيّين؛ ينبغي أن يتجسّد في الاهتمام الدائم والعظيم بالإمام الهمام الأعظم، الذي تُعدّ اِمامته نظاماً للدين وتكون ولايته محور العقيدة.. لا سيّما وأن جميع وجوه الاضطرابات الدينية والدنيوية ستجد حلولها على يده الكريمة الشفوقة ولا يمكن التعديل على يد أخرى لحلّها، فيتحقق المطلوب عبر انتظاره الواعي الذي فيه فَرَجُنا... و قد صدر عن باب مدينة العلم النبوي؛ أميرالمؤمنين عليه السلام وضمن تفسيره حروف الأبجد ولدى تفسير حرف التاء، اذ قال: «والتاء؛ تمام الأمر بقائم آل محمد» (معاني الأخبار، ص ٤٣). ومن قبيل اللّطف الإلهي أننا نناجيه ونناديه بعبارة: «يا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها».. راجين اَن نكمل نواقصنا الجمّة بظهور «تمام الأمر» المقدس هذا؛ صلوات الله عليه وعلى آبائه الأطهرين الأكرمين.